سلسلة
بطولات النبي ﷺ

ابن قميئة
عدوّ الله

عبد المنعم الهاشمي

دار الأيمان
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٤٥٧٢٦٩

دار الهجرة
للتوزيع والنشر
ت: ٥٤٦٦٦٩ ت: ٥٤٩٢٠٢

سلسلة

بطولات النبي ﷺ

ابن قميئة

عدو الله

محفوظة جميع الحقوق

رقم الإيداع
٢٠٠٤/٥٠٧٨

الترقيم الدولي
977-331-271-2

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الهمة

ابن قميئة

(عدو الله)

«ادفعو الخيل عنَّا بالنبال.. ولا يأتوننا من خلفنا، وإن كانت لنا أو علينا ..» (الرسول ﷺ يوم غزوة أحد).

عدو الله:

كان ابن قميئة كافرًا مشركًا وكان فاجرًا متكبرًا، كان عدوًا للنبي ﷺ، حاول قتل النبي ﷺ يوم غزوة أحد، ولكن الله يدافع عن نبيه ورسوله، وعن عباده الذين آمنوا من أصحاب رسول الله ﷺ.

استطاع ابن قميئة الفاجر الكافر أن يقتل أول سفير في الإسلام، استطاع أن يقتل مصعب بن عُمير رضي الله عنه، كان مصعب يدافع عن رسول الله ﷺ حين قتله ابن قميئة. ترى ما هي قصة عدو الله مع رسول الله ﷺ؟ ذلك ما سنجيب عليه في قصتنا هذه.

هُزِمَ الكفار في غزوة بدر هزيمة منكرة واستطاع المسلمون قتل زعماء الكفار ومنهم أبو جهل وغيره، ومضت الأيام ومرَّ عام على غزوة بدر، وفي العام التالي أعدت قريش عدتها ـ ثلاثة آلاف مقاتل من قريش والحلفاء، ورأى قادة جيش قريش أن يصحبوا معهم النساء حتى يكون الرجال أكثر حماسة خوفًا على أعراضهم ونسائهم. ومع قريش ثلاثة آلاف بعير، ومائتا فَرَس[1]، وسبعمائة درع وكان قائد الجيش هو أبو سفيان بن حرب، وقائد الخيل والفرسان خالد بن الوليد ومعه عكرمة بن أبي جهل.

وفي موكب ضخم ومخيف تحرَّك الجيش المكي، جيش قريش في اتجاه المدينة وكل رجاله يحملون الغيظ والثأر من المسلمين ومحمد ﷺ، ولما تهيأ القوم للمسير والعباس بن عبد المطلب عم النَّبي ﷺ واقف بينهم وهو مطَّلع على سرِّهم، وكان العباس يزعم حرصه على دين آبائه ودين قومه

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٩٢).

إلا أنه كان أكثر حرصًا على ابن أخيه محمد ﷺ لأنه كان يحبه لصدقه وأمانته، وقد حضر العباس مع ابن أخيه لقاء الأنصار في بيعة العقبة مع ابن أخيه محمد ﷺ قبل هجرته إلى المدينة.

قرر العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ أن يكتب رسالة لابن أخيه محمد ﷺ يطلعه فيها على سر قريش، وأنهم خارجون إليه في جيش ضخم، وذكر في الرسالة عدد جيش الكفار وتحدث عن نيتهم في القضاء على محمد ﷺ والمسلمين، وكتب الرسالة وسلمها لرجل من قبيلة تسمى غفار، فسار به إلى النبي ﷺ حتى وصل المدينة بعد ثلاثة أيام من المشي ثم سلمه للرسول لله.

أما جيش الكفار ـ جيش قريش ـ فقد سار حتى نزل عند سفح جبل أحد، وهو على بعد خمسة أميال من المدينة، أما الغفاري حامل الرسالة من العباس عم النبي ﷺ فقد وصل المدينة ووجد النبي ﷺ في قباء، فذهب إليه فلقيه

على باب المسجد، فأعطاه كتاب العباس، فقرأ الرسالة على النبي ﷺ أُبي بن كعب رضي الله عنه فاستكتمه النبي أي طلب منه أن يكتم سر الرسالة.

وقد بدأت المدينة في حالة تأهب قصوى واستنفار عام، يحمل رجالها السلاح ليل نهار، استعداداً لأي طارئ يطرأ.

وقام مجموعة من الأنصار المؤمنين المخلصين قاموا بحراسة النبي ﷺ ومنهم سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ رضي الله عنهما، فكانوا يبيتون على باب بيته مسلحين، وعلى مداخل المدينة وطرقاتها وضعت مجموعات مسلحة للحراسة، حتى لا يؤخذوا على حين غرة أو يفاجئهم العدو. وأطلق المسلمون دوريات مسلحة من رجالهم، تستكشف تحركات قريش فكانت تتجول حول الطرقات التي يمكن أن يأتي منها الأعداء للإغارة على المدينة والمسلمين.

عسكر الجيش المكي «جيش الكفار» قرب المدينة، ونقلت مخابرات المدينة أخبار جيش قريش ساعة بساعة ولحظة بلحظة.

شاور الرسول ﷺ أصحابه في الأمر، وأخيراً اتفقوا على الخروج إلى العدو حتى لا يقولوا أنهم جبناء.

وكان في مقدمة الراغبين في الخروج حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ والذي كان بطلاً عظيمًا في معركة بدر، فقد قال حمزة رضي الله عنه للنبي ﷺ: «والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعامًا حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة»[1]، ونزل رسول الله ﷺ على رأي أصحابه وقرر الخروج من المدينة ولقاء العدو أينما كان.

وجاءت صلاة الجمعة، فصلى رسول الله ﷺ بالناس فأمرهم بالصبر والثبات والجد والاجتهاد، وأخبرهم أن لهم النصر إذا استعدوا لعدوهم استعدادًا جيدًا.

وبعد أن صلى بالناس العصر، تجهز ﷺ بسلاحه، فلبس درعًا وتقلد السيف، ثم خرج على الناس ومعه صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وكان النَّاس ينتظرون خروج رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر «السيرة الحلبية» (٢/ ١٤).

خرج رسول الله ﷺ في ألف مقاتل فيهم مائة وخمسون دارعًا وخمسون فارسًا، ولما وصل مفترق الطرقات المؤدية إلى خارج المدينة انطلق ﷺ حتى وصل بالقرب من جبل أُحُد، فجعل ظهر جيش للجبل وجيشه أمام الجبل وقال لجنوده: «**لا يقاتلنَّ أحد منكم حتى نأمره بالقتال**».

أما قريش فوقفت أمام جيش المسلمين، ووقف ابن قميئة في جيش الكفر يضمر السوء لرسول الله ﷺ.

وتعبأ رسول الله ﷺ وهو في سبعمائة رجل هم كل جيشه، وأمَّر على الرماة عبد الله بن جبير الأنصاري وهو مميز يومئذ في ثياب بيض، وكان الرماة خمسين رجلاً، وكانوا من أمهر الرماة الذين يرمون بالنبل، وأمرهم بالتمركز على الجبل، وتحدث الرسول لله إلى قائد الرماة عبد الله بن جبير الأنصاري رضي الله عنه وهو من أبطال غزوة بدر، فقال له: «**انضح الخيل عنا بالنبل، ولا يأتون من خلفنا إن كانت لنا أمر علينا فاثبت مكانك ولا نؤتين من قبلك**»[1].

---

(١) «السيرة» لابن هشام (جـ١، ص٦٥).

ثم قال رسول الله ﷺ للرماة الأبطال: «**احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نُقتَلُ فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا ـ انتصرنا ـ فلا تُشركونا**»[1].

وهنا قصد الرسول ﷺ أن الرماة لا ينزلوا من فوق الجبل مهما حدث، وكل مهمتهم حماية ظهر جيش المسلمين حتى لا يأتي الكفار من الخلف، وبهذا وضحت المهمة التي كلّف بها الرسول ﷺ رجاله من كتيبة الرماة، وكانت هذه المهمة هي التي تحدد نتيجة المعركة سواء بالنصر أو الهزيمة، وبعد أن أمّن رسول الله ﷺ ظهر جيشه ومؤخرته بالرماة جعل على ميمنة جيشه المنذر بن عمرو، وجعل على الميسرة الزبير بن العوام يسانده المقداد بن الأسود، وأوكل إلى الزبير ابن العوام مهمة الصمود في وجه الفرسان من جيش قريش بقيادة خالد بن الوليد الذي لم يدخل في الإسلام بعد.

---

(١) رواه أحمد والطبراني عن ابن عباس، (فتح الباري، ٧/ ٣٥٠).

وبدأت المعركة وتقارب الجيشان وتلاحم الجيشان، واشتد القتال، واندفعت النفوس المؤمنة تدافع عن دينها، وكل مسلم بطل يردد مع ضربات سيفه ورمحه شعارًا يقول: أَمِتْ، أَمِتْ.

ومضت أحداث المعركة في صالح المسلمين، وبدأ جيش الكفار والمشركين في التقهقر والاندحار، وأخذ جيش الكفار ينسحب ويتراجع بل لجأ إلى الفرار، وأنزل الله نصره على المسلمين، وصدقهم وعده.

وبينما كان جيش الإسلام يطارد فلول المشركين ومنهم ابن قميئة الكافر، ورأى الرماة المسلمون من فوق الجبل أن إخوانهم الأبطال قد انتصروا وبدأوا يجمعون الغنائم، ظنوا أن المعركة قد أوشكت على الانتهاء وارتكبوا خطئًا فادحًا، أدى إلى قلب دفة المعركة لصالح المشركين، بل كاد النبي ﷺ أن يُؤذى ويُقتل لولا حفظ الله سبحانه عزَّ وجلَّ،

فبرغم الأوامر المشددة نسي الرماة ما أمرهم رسول الله وذكرهم قائدهم عبد الله بن جبير قائلاً: «أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟»، لكنهم لم يستمعوا واندفع أغلبهم، وقالوا: والله لنأتين الناس، ولنصيبن من الغنيمة»[1].

ثم انطلق أربعون رجلاً منهم وتركوا مواقعهم في الجبل، والتحقوا بجيش المسلمين ليشاركوا في جمع الغنائم، وأصبح جيش المسلمين مكشوف الظهر ولم يبق في الجبل إلا ابن جبير قائدهم وتسعة من أصحابه، التزموا بالأوامر. وصمموا على البقاء حتى يؤذن لهم أو يقتلوا.

وكانت هذه فرصة ذهبية لخالد بن الوليد، قائد فرسان المشركين في ذلك الوقت، فاستدار بسرعة البرق، وجاء من الخلف فقتل عبد الله بن جبير قائد الرماة المسلم وأصحابه

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» من حديث البراء بن عازب (١/٤٢٦).

التسعة الذين ظلوا في أماكنهم، وهاجم جيش المسلمين من الخلف، وانقلبت دفة المعركة لصالحهم، ورفعت راية المشركين الملقاة على التراب، والتف حوله المشركون وتجمعوا وهاجموا المسلمين، وأصبح المسلمون محاصرين من الأمام والخلف.

وكان الرسول ﷺ في صحبة تسعة بين أصحابه، يلاحظ قتال المسلمين فنادى أصحابه ودعاهم إلى العودة للقتال، ولما سمع الكفار صوته وسمع ابن قميئة صوته عرفوا مكانه واتجهوا نحوه ليؤذوه، وكان حول الرسول من أصحابه مصعب بن عمير، وأبو دُجانة، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد ومعاذ، والسيدة أم عمارة نسيبة بنت كعب، سوف نسمع قصة هذه اللحظات الصعبة من المعركة من السيدة أم عمارة التي تقول:

«خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والنصر للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال، وأدافع عنه بالسيف، وأرمي بالقوس، حتى خرجت وكثرت الجراح في جسدي، فلما انصرف الناس عن رسول الله ﷺ، أقبل ابن قميئة يقول: «دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا».

فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأُناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة، ولكني ضربته عدة ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان»[1].

(١) «سيرة ابن هاشم» (جـ٣، ص٨٧).

وقتل ابن قميئة بسيفه مصعبَ بن عمير رضي الله عنه، فقد كان مصعب يحمل راية المسلمين يوم أحد، فلما تشتت المسلمون ثبت مصعب بالراية فأقبل ابن قميئة وهو فارس، فضرب يد مصعب اليمنى فقطعت، ومصعب يقرأ القرآن ويقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤)، وأخذ الراية بيده اليسرى وحنا عليها، فضرب يده اليسرى فقطعها، فحنا على الراية وضمها بعضديه إلى صدره، وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.

ثم هجم عليه ابن قميئة مرّة ثالثة بالرمح فوقع مصعب ابن عمير شهيداً، لقد اقتدى رسول الله ﷺ بجسده، وكان ابن قميئة يظن أن مصعب بن عمير هو رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمداً.

ولكن محمداً ﷺ حفظه الله - عزَّ وجلَّ - من كل شر، وكفاه شر الكفار والمستهزئين ففي الوقت الذي لم يبق معه سوى طلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص ورجال من الأنصار وأم عمارة رماه أحد الكفار فأصيب في وجهه وشفته السّفلى، وتقدم إليه رجل آخر من المشركين فأصابه في جبهته، ولكنه ﷺ كان بطلاً، فما إن أصابه ابن قميئة في وجهه وهو يقول: خذها وأنا ابن قميئة، حتى رد عليه بشدة وغضب: أقمأك الله.

فاستجاب الله لدعاء النبي الكريم ﷺ، فحينما انصرف إلى أهله، خرج إلى غنمه فوجدها فوق قمة الجبل قد هربت وساحت هناك في أعلى الجبل، فصعد إليها لكي يعيدها أسفل الجبل، فلما جاء عندها إذا بتيس من المعز له

قرنان كبيران فنطحه برأسه نطحة جعلته يسقط من أعلى قمة الجبل الشاهق فتحطمت رأسه وتقطع أربًا أربًا[1].

واستجاب الله لدعاء نبيه الحبيب، وقُتل ابن قمينة، قتله تيس بن تيس، والتيس هو ذكر الماعز.

لقد عصم الله رسوله وحماه من كل شر يؤذيه، ﷺ.

(١) «فتح الباري» (جـ٧، ص٣٦٦، ص٣٧٣).